اللّهجات العربية في " المحرّر الوجيز " و " البحر المحيط " - دراسة صوتيّة لنماذج من سورة البقرة –

" Albahr Almuhit " and " Almuharrir Alwadjiz "Arabic Dialects in the "Sourat Al Baqara " Phonetic study of any words of

تاريخ الاستلام : 2019/04/09 ؛ تاريخ القبول :2019/06/21

* عبد الوهّاب شيباني

كلية الاداب واللغة العربية
جامعة الإخوة منتوري
قسنطينة

ملخص

إنّ ارتباط علم التّفسير بالقراءات القرآنية، و القراءات القرآنية بلغات العرب و لهجاتهم، وسّع دائرة البحث اللّغوي في كلّ مستوياته: الصّوتية، و الصّرفية، و النّحوية، و الدّلالية، و المعجمية، و أتاح للمفسّرينَ كابن عطيّةَ و أبي حيّان الغرناطيّيْنِ الأندلسيّيْنِ تَبَوُّءَ مكانة عالية بين علماء اللّغة.

و الدّراسة التّي نحن بصددها تناولت ظواهر لغوية أو لهجية كشف عنها المفسّران المذكوران في تفسيريهما مُبيّنينِ أصول تلك الظّواهر اللّغوية العربية أو الأعجميّة مع شيء من الوصف و التّحليل. إلاّ أنّ فضل أبي حيّان على ابن عطيّة كان أكبر و أوضح، نظرًا لاعتماد صاحب " المحرّر الوجيز " التّعميم من غير أن يعلّق أو يشير إلى قبائل الإنتماء، بينما كان صاحب " البحر المحيط" يدقّق و يكشف كلّ ذلك بتوخّي المنهجيّة العلميّة عبر تحليله للقبائل التّي تنتمي إليها تلك اللّهجات.

كما حاولت هذه الدّراسة التّأصيل لبعض آراء المفسّرين في كتابيهما بما ذكره اللّغويون السّابقون و اللاّحقون. و سعـــــتْ أيضًا إلى الكشــف عن الأثـــر اللّهجي في توجيـــه القواعـــد اللّغوية خاصّة منها الصّوتية و الصّرفية

الكلمات المفتاحية: التّفسير - القراءات القرآنية – اللّهجات – اللّغات - المحرّر الوجيز - البحر المحيط.

Abstract

The link between the science of interpretation in the Quranic readings and the Quranic readings in the languages and dialects of the Arabs has expanded the linguistic research at all levels: phonetic, morphological, grammatical, semantic and lexicon, and allowed interpreters like Attia and Abi Hayyan, Among linguists.

And the study we are dealing with the phenomena of linguistic or barbaric revealed by the interpreters mentioned in their interpretations, indicating the origins of those phenomena of Arabic or Arabic language with some of the description and analysis. But the superiority of Abu Hayyan to Ibn Attiyah was greater and clearer, since the author of the "brief freedom" generalization without commenting or referring to the tribes of belonging, while the owner of the "ocean ocean" checks and reveals all this by pursuing scientific methodology through his analysis of the tribes To which those dialects belong.

This study also attempted to establish some of the views of the interpreters in their books, as mentioned by the previous and subsequent linguists. And also sought to reveal the impact of the steering in the direction of grammar, especially voice and morphology.

Keywords: Interpretation ; Quranic readings ; Dialect ; Language ; – Almuharrir Alwadjiz ; Albahr Almuhit

Résumé

La science de l'interprétation des lectures association, et des lectures coraniques des langues arabes et dialectes, a élargi le cercle de la recherche linguistique à tous les niveaux: acoustiques et morphologiques et grammaticales et lexicographie, et a permis aux exégètes: '' Ibn Attia '' et '' Abou Hayyan '' occupent une position haute parmi les linguistes. L'étude en question portait sur des phénomènes linguistiques décrite dans ces deux interprétations montrant comment les actifs de ces phénomènes linguistiques arabes ou étrangères avec quelque chose de la description et l'analyse. Mais Abu Hayyan Coranique était plus grand et plus clair,en révèlant toute cette méthodologie scientifique à l'exercice par son analyse des tribus qui appartiennent à ces dialectes. Alors que Ibn Attia tient à ne pas commenter ou faire référence à l'appartenance tribale. Cette étude a également essayé d'enracinement pour certaines des vues des commentateurs dans leurs livres comme mentionné par d'anciens linguistes et d'autres prix. Et aussi cherché à détecter l'impact « dialecte » dans la direction acoustique et morphologique particulier y compris les règles linguistiques.

Mots clés: Interprétation ; Lectures Coraniques ; - Dialecte ; Langues ; – Almouharrir Alwadjiz ; Albahr Almouhit

* Corresponding author, e-mail: chibaniweb@hotmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2019.

مقدمة:

لا يكاد كتاب واحد من كتب التّفسير يخلو من ذكر، أو إشارة، أو تلميح، إلى اللّغات العربية المختلفة – أي اللّهجات على ما درج عليه المعاصرون - في القرآن الكريم، ناهيك عن كتب اللّغة، أو كلّ ما يتعلّق بالدّراسات اللّغوية خاصّة تلك التّي اختصّت بدراسة اللّهجات في القراءات القرآنية فحسب، و منها: كتاب " في اللّهجات العربية " لإبراهيم أنيس، و كتاب " اللّهجات العربية في القراءات القرآنية " لعبده الرّاجحي، و كتاب " القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث " لعبد الصّبور شاهين، و فيه أكثر من فصل يتناول اللّهجات العربية في القرآن الكريم. و كذلك كتاب " الإمالة في القراءات و اللّهجات العربية " لعبد الفتّاح إسماعيل شلبي. و ربّما كان كتاب " القراءات و اللّهجات " لعبد الوهّاب حمّودة أوّل كتاب ظهر على السّاحة اللّغوية و الإقرائية، و هو اليوم مفقود في أسواق الوطن العربيّ كلّها، و في الكثير من مكتباته. ثمّ يليه: كتاب " اللّهجات العربية في التّراث " لأحمد علم الدّين الجندي، الذي كثيرًا ما ردّ ليه إبراهيم السّامرّائي في كتابه المشهور: " في اللّهجات العربية القديمة ". و لا ينبغي أن ننسى كذلك كتاب " اللّهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية "، للمستشرق الإنجليزي: تشيم رابين (CHAIM RABIN).

1- العلاقة بين اللّهجة و اللّغة:

اللّهجة تعني مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، و يشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمّ عدة لهجات، لكلٍّ منها خصائصها. و قديماً كانت اللّهجات تسمّى اللّغات، و هو استعمال متداول عند جمهور النّحاة[1]، و لاختلاف اللّهجات مظاهر شتّى في العربية على مستوى الأصوات، و البنية، و التراكيب، و الدلالة، و هي مسائل وجدت حظها من البحث بما لا نستطيع معه بسط الحديث فيها في هذه الدراسة.

هذا من جهة، و من جهة أخرى فإنّ البيئة الشّاملة التي تتألّف من عدّة لهجات، هي التي اصطلح على تسميتها باللغة. فالعلاقة بين اللّغة و اللّهجات هي العلاقة بين العامّ و الخاص. فاللّغة تشتمل عادة على عدّة لهجات، لكلّ منها ما يميّزها. و جميع هذه اللّهجات تشترك في مجموعة من الصّفات اللّغوية، و العادات الكلامية التي تؤلّف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

و قد كان القدماء من علماء العربية يعبّرون عمّا يسمّى الآن باللّهجة بكلمة " اللّغة " حينًا، و " باللّحن " حينًا آخر. و كثيرًا ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم و لغة طيء و لغة هذيل، و لا يريدون بمثل هذا التعبير سوى ما يعنى الآن بكلمة " اللّهجة "[2].

و كان العرب القدماء في العصر الجاهلي و صدر الإسلام يعبّرون عمّا سمّي الآن " باللّغة " إلاّ بكلمة " اللّسان "، تلك الكلمة المشتركة اللّفظ و المعنى في معظم اللّغات السّامية شقيقات اللّغة العربية[3].

يعدّ تعريف عبد الوهّاب حمّودة لكلّ من اللغة و اللّهجة من أدقّ التعريفات، و هو في ذلك يفرّق بين المصطلحين، يقول: « اللّهجة هي أسلوب أداء الكلمة إلى السّامع، من مثل إمالة الفتحة و الألف أو تفخيمهما، أو مثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها، فهي محصورة في جرس الألفاظ، و

صوت الكلمات، و كلّ ما يتعلّق بالأصوات و طبيعتها و كيفية أدائها.
و اللّغة يراد بها الألفاظ التي تدلّ على المعاني، من أسماء و أفعال وحروف، و يراد بها النّحو و هو طريق تأليف الكلمات و إعرابها للدّلالة على المقصود، و كذا يراد بها كلّ ما يتعلّق باشتقاق الكلمات و توليدها، و بنية الكلمات و نسجها.

غير أنّ اللّهجة تتميّز بقليل من الخصائص التي ترجع إلى بنية الكلمة و نسجها، أو معاني بعض الكلمات و دلالتها و متى كثرت هذه الصّفحات بعدت اللّهجة عن أخواتها حتّى تصبح اللّهجة لغة قائمة بذاتها، فكما أنّ اللّغة تتشعّب إلى لهجات، كذلك اللّهجة قد تستقلّ و تشيع و تثبّت أقدامها حتى تصير لغة[4]».
ترتبط لا فتبيّن من هذا التّفريق أنّ اللّغة شدّيدة الارتباط بالمعنى في مستوياتها المختلفة، بينما اللّسانية. للبنيات الصّوتي المستوى من الأداء جانب في منحصرة لأنّها اللّهجة بالمعنى

2- مردّ كثرة الاختلافات بين اللّغات العربية:

لعلَّ مردّ كثرة الاختلافات بين اللّغات العربية يعود إلى سعة القياس التي تبيح ذلك، يقول العالم اللّغويّ ابن جنيّ في هذا الموضوع: « اعلم أنّ سعة القياس تبيح لهم ذلك، و لا تحظره عليهم، ألا ترى أنّ لغة التميميّين في ترك إعمال " ما " يقبلها القياس، و لغة الحجازيّين في إعمالها كذلك، لأنّ لكلّ واحد من القومين ضربًا من القياس يؤخَذ به، و يخلد إلى مثله، و ليس لك أن تردّ إحدى اللّغتين بصاحبتها، لأنّها ليست أحقّ بذلك من رَسيلتها، لكنّ غاية ما لك في ذلك أن تتخيّر إحداهما، فتقوّيها على أختها، و تعتقد أنّ أقوى القياسين أقبلُ لها، و أشدّ أنسًا بها. فأمّا ردّ إحداهما بالأخرى فلا، أو لا ترى إلى قول النّبيّ (صلى الله عليه وسلم)[5]: « **نزل القرآن بسبع لغات كلّها كافٍ شافٍ**[6]».

و يشير ابن جنيّ أيضا إلى أنّ اللّغتين إذا كانت إحداهما تقلّ عن الأخرى، فالأخذ يكون بأوسعها رواية و أقواهما قياسًا، فلا نقول مثلاً: مررت بَكَ (بفتح الباء)، و لا المال لِكَ (بكسر اللاَّم) قياسًا على قول قضاعة: المالُ لِه و مررتُ بَه[7].
و يذكر ابن جنيّ أيضاً أنَ قريشًا ارتفعت في الفصاحة عن عنعنة تميم [8]، و كشْكشة ربيعة[9]، و كسكسِة هوزان [10]، و تضجّع قيس[11] و عجرفية ضبّة[12] و تلتلة بهراء[13].

3- نبذة وجيزة عن مصادر " المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " و " البحر المحيط " في القراءات:

1/3- مصادر تفسير " المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " في القراءات:

من مصادر تفسير " المحرّر الوجيز " كتاب " جامع البيان في آي تفسير القرآن "[14] لأبي جعفر الطّبري (ت 310 هـ)، و لقد تأثّر ابن عطية كثيرا بهذا الكتاب، مع أنّه لا يذكره باسمه... و لله درّ الشّيخ محمّد الطّاهر ابن عاشور صاحب تفسير " التّحرير و التّنوير " حين أطلق كلمة حقّ أنصف من خلالها مفسرَنا ابنَ عطية الغرناطيّ، حيث قال فيها « و التفاسير و إن كانت كثيرة فإنّك لا تجد الكثير منها إلاّ عالة على كلام سابق [يقصد " جامع البيان في

آي تفسير القرآن " للطّبري "]، بحيث لا حظّ لمؤلفه إلاّ الجمع على تفاوت بين اختصار و تطويل. و إنّ من أهمّ التفاسير تفسير " الكشاف " و " المحرّر الوجيز " لابن عطية[15]».

و هناك كتاب تفسير آخر تأثّر به ابن عطيّة كثيرا، و قد تردّد ذكره في " المحرّر الوجيز "، و هو كتاب " شفاء الصّدور " لأبي بكر محمّد النقّاش (ت 351 هـ)، و لم يكن ابن عطيّة يسمّي هذا الكتاب عندما ينقل عنه[16]، بينما ذكرته بعض كتب التراجم التي جاءت بعده[17].

و من مصادر التّفسير التّي اعتمدها ابن عطيّة في تفسيره المشهور كتاب " التّحصيل لفوائد كتاب التّفصيل الجامع لعلوم التّنزيل "[18] للمهدوي (ت 430 هـ)، و لم يكن يشير إلى اسم كتاب، و إنما كان يقول: « و ذكر المهدوي... و قال المهدوي... و حكى المهدوي... إلى غير ذلك[19]».

و منها أيضّا كتاب " الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن و تفسيره و أنواع علومه " و هو لمكّي بن أبي طالب القيسيّ (ت 437 هـ). و هو صاحب كتابيّ " التبصرة " و " الكشف " أيضًا[20].

و إنّ من بين ما تأثّر به ابن عطيّة في مجال القراءات الكتب الآتية:

كتابا: " الحجّة للقرّاء السّبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد [21]"، و كذلك " الحجّة في علل القراءات السّبع[22]" و هما لأبي عليّ الفارسيّ (ت 377 هـ)[23].

مع العلم أنّه لم يكن يسمّي الكتابين كما كان يفعل عندما يقتبس من كتاب " الإغفال ".

و الكتاب الثاني الذي يعدّ مرجعًا أساسيًا في القراءات الّتي اعتمد ابن عطيّة " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، لابن جنّيّ (ت 392 هـ)[24] ، إضافة إلى " الخصائص[25] "، و " سرّ صناعة الإعراب [26] "، و " اللّمع في العربيّة[27] "، و" المنصف لكتاب التّصريف[28] "، و " الألفاظ المهموزة وعقود الهمز "[29].

و المصدر الثّالث في القراءات المعتمد عليه: مؤلفات أبي عمرو الدّاني (ت 444 هـ) [30]، منها كتاب " التّيسير[31] "، و كتاب " جامع البيان في القراءات السّبع المشهورة [32]"، و كتاب " المحتوى على الشاذّ من القراءات "[33].

2/3- مصادر تفسير " البحر المحيط " في القراءات:

كان أبو حيّان كثير النّقل في القراءات عن ابن عطيّة، و جلّ اعتماده على كتابه " المحرّر الوجيز "، و قد أشار إلى ذلك في مقدّمة تفسيره[34]، و كان يردّ عليه و يعترض إذا رجّح بين قراءتين متواترتين، أو ردَّ قراءة متواترة، أو أخطأ، حسب رأيه، في توجيه القراءة.

أمّا كتب القراءات التّي ذكرت في " البحر المحيط " فهي: " الإقناع " لابن الباذش (ت 528 هـ)، و " المصباح " لأبي بكر الشهرزوري (ت 550 هـ)، و " التيسير " للدّاني (ت 444 هـ)، و " الكافي " لابن شريح (ت 476 هـ)، و " التّبصرة " لمكّي القيسي (ت 437 هـ)، و " التّلخيص " لأبي معشر الطبري (ت 478 هـ)[35].

و جمع أبو حيّان في تفسيره " البحر المحيط " في مختلف جوانبه، آراء كثيرين، منهم: المهدوي التونسي (ت 430 هـ)، صاحب " التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل "، و ابن أبي مريم (ت 565 هـ)، صاحب " الموضَح في وجوه القراءات و عللها "،

و الزّمخشري (ت 538 هـ) [36]، و ابن عطيّة (ت 542 هـ) صاحب " المحرّر الوجيز "، و أبو الفضل الرّازي (ت 454 هـ) صاحب " اللّوامح "، و غيرهم[37].

4- نماذج لغوية " لهجيّة " من سورة البقرة وردت في تفسيري " المحرّر الوجيز و " البحر المحيط ":

في سورة البقرة نماذج كثيرة من لغات أو لهجات العرب، منها ما ذكره المفسّرون، و منها ما أغفلوه، و من أمثلة ذلك ما جاء عند تفسير قول الله تبارك و تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة : 7]، فقد علّق ابن عطيّة على ذلك بقوله : « و قرأ أبو حيوة: " غَشوةٌ "[38] بفتح الغين و الرّفع، و هي قراءة الأعمش. و قال الثوري: كان أصحاب عبد الله يقرؤونها " غَشِيةٌ " بفتح الغين والياء و الرّفع "[39]».

و هو ما قام أبو حيّان بنقله حرفيًا عن " المحرّر الوجيز "، مستصوبًا إيّاه، و مكتفيا بذكر عبارة " قال بعض المفسرين " دون تصريح، لكنّ قوله: « و قرأ بعضهم "غِشوةٌ" بالكسر و الرّفع، و بعضهم " غشوة " و هي قراءة أبي حيوة»[40]، لا يوحي بشكل كلمة (غشوة) عند أبي حيوة صراحة كما رأينا عند ابن عطيّة.

و قرأ الحسن: " غُشاوة " بضمّ الغين، و كذلك هي عند صاحب " البحر المحيط "، و زاد زيد ابن عليّ. و إذا كانت " غَشاوة " بفتح الغين[41]. بلا عزو في " المحرّر الوجيز "، فإنّها في " البحر المحيط " بالفتح والنصب و سكون الشّين قراءة لأصحاب عبد الله، و عبيد بن عمير كذلك، إلا أنه رفع التاء. كما أنّه زاد قول يعقوب: " غُشوة " بالضمّ لغة، و لم يؤثرها عن أحد من القراء. و قراءة بعضهم: " عشاوة " بالعين المهملة المكسورة و الرّفع من العشي، و هو شبه العمى في العين[42].

و في توجيهه لهذه القراءات يستصوب ابن عطيّة منها كلّ ما عليه السّبعة من كسر الغين على وزن عمامة و الأشياء التي هي أبدا مشتملة. و يرى أنّه هكذا يجيء وزنها كالضّمامة و العمامة و الكتابة و العصابة و الرّبابة و غير ذلك. و إلى مثل هذا ذهب، قبله، النّحاس أيضا، و نسب غشاء و هو جمع غشاوة لابن كيسان[43]. و يرى أبو عليّ الفارسيّ أنّ الغشاوة من الغشيان كالجباوة من جبيت في أنّ الواو كأنّها بدل من الياء إذا لم يصرف منه فعل. و روي عن سيبويه[44]: غشية غِشيانا كالحرمان، و لام الكلمة عنده الواو بدلالة غشاوة و غشوة.

كما روى أبو عليّ الفارسيّ أيضا عن الكسائي: " غِشاوة " (بالكسر) و غَشاوة (بالفتح) و غُشاوة (بالضمّ)[45] و قد ذكر الزّمخشري قراءات كثيرة " لغشاوة " و لم ينسبها، يقول : « و قرئ " غِشاوة " بالكسر و النّصب ، و " غُشاوة " بالضمّ و الرّفع ، و" غَشاوة " بالفتح و النّصب، و" غِشوةٌ " بالكسر و الرّفع، و" غَشوةٌ "، و" غشاوةٌ " بالعين غير المعجمة و الرّفع من " العشا "[46]». و لعلّ اللّغوي الوحيد الذي ذكر أنّ هذه القراءات جميعًا هي لغات هو أبو البقاء العكبري حيث قال بعد ذكره لـ" غشاوة " بالغين المعجمة بأشكالها الثلاثة و كذلك لـ" عشاوة " بالعين و بأشكالها الثلاثة، و كذا (غشوة)، يقول في ذلك: « و كلّ ذلك لغات فيها،

فالغين من الغشاء، و هو غطاء على العين، و العين من عَشِيَ بصرُه إذا قلَّ إدراكه به[47]».

لم يرد في نصوص المفسرين لفظ [مصطلح] لغة إلاّ مرّة واحدة.

و من أمثلة عرض المفسّرين للغات العرب و لهجاتهم أيضا ما ذكره المفسّران عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾ [البقرة : 10]، يقول ابن عطيّة: « و قرأ الأصمعي عن أبي عمرو " مَرْض " بسكون الرّاء، و هي لغة في المصدر[48]» و يستدل على ذلك بما قاله ابن جنيّ: و هو " و ليس [أي إسكان الرّاء من مرض] بتخفيفا"[49]، لأنّ المفتوح لا يخفّف، و إنّما ذلك في المكسور و المضموم كإبل و فخذ و ُطنب و عضُد، و ما جاء منهم في ذلك في المفتوح فشاذّ[50]».

كما أشار ابن جنيّ في " المحتسب " إلى أنّه ذكر في كتابه " المنصف[51]" أنّ تخفيف المفتوح إنّما جاء في الضّرورة، و القرآن يُتخيّر له و لا يَتَخيّر عليه[52].

و خلاصة ما ذهب إليه ابن جنيّ هي أنّ " مَرْض " بالسّكون ينبغي أن يكون لغة في مرَض المتحرّك " كالكلَب و الحلَب، و الطّرْد و الطرَد "[53].

و القرّاء على فتح راء مرض في الموضعين، و القراءتان لغتان كالحَلَب و الحَلْب، و القياس الفتح، و لهذا قرأ به الجمهور[54].

و من أمثلة الألفاظ التي ذكر ابن عطيّة أنّها لغات ما أورده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعْدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة:19]، يقول ابن عطية: « و حكى الخليل عن قوم من العرب " السّاعقة " بالسّين. و قرأ الحسن بن أبي الحسن " من الصّواقع " بتقديم القاف[55]».

و عند توجيهه لهذه القراءات اعتمد على نقل قول للنّقاش، إذ يقول: « يقال صاعقة و صعقة صاقعة بمعنى واحد[56]». كما رأى أنّ " الصَواقع " لغة لتميم و نسب ذلك إلى أبي عمرو[57]. و هو ما نقله عنه أبو حيّان[58]. و إلى مثل هذا ذهب أبو جعفر النحّاس، قبلهما، إلاّ أنه نسب قراءة " الصّواقع " إلى الحسن[59].

و أضاف صاحب " البحر المحيط ": « صعقته و أصعقته الصاعقة، إذا أهلكته، و الصاعقة أيضاً العذاب. و تكون صفة لصوت الرّعد أو للرّعد، و تكون التاء للمبالغة نحو: راوية، و إمّا أن تكون مصدراً، كما قالوا في الكاذبة... و " الصّواقع " و " الصّواعق ليس من باب المقلوب خلافاً لمن ذهب إلى ذلك، و نقل القلب عن جمهور أهل اللّغة [60]».

و كذلك عند تفسير قول الله تبارك و تعالى: ﴿ **يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ...** ﴾ [البقرة: 20]، يقول ابن عطيّة: « و اختلفت القراءة في هذه اللفظة فقرأ جمهور الناس " يَخْطَف " بفتح الياء و الطاء على قول بعض العرب في الماضي " خَطَف " بفتح الطّاء[61]».

و قد عدّ ابن عطية قراءة الجمهور هذه أفصح لغات العرب، و نسبها إلى قريش. و بعدها استعرض اللّغات الأخرى التّي جعلها النّحاس سبعة أوجه[62]، و صرّح بأنّ ابن مجاهد حكى

قراءة لم ينسبها إلى أحد " يَخَّطف " بفتح الياء و الخاء و تشديد الطّاء المكسورة[63]. و كلّ ما ذكرناه هنا كرّره أبو حيّان في تفسيره و أضاف أنّ ابن مجاهد غلّط هذه القراءة[64]. كما نقل أيضًا عن الزمخشري[65] أنّه رأى قراءة الفتح، يعني في المضارع، هي الأفصح[66].

و روى ابن عطيّة عن أبي عمرو الدّاني أنّه حكى عن الحسن أيضا[67] أنه قرأ " يَخَطَّف " بفتح الياء و الخاء و الطاء و شدّها. و روى أيضًا عن الحسن و الأعمش " يخطَّف " بكسر الثلاثة و شدّ الطّاء منها، و نقل قول عبد الوارث: « رأيتها في مصحف أبيّ بن كعب: " يتخَطَّف " بالتاء بين الياء و الخاء[68]»، و هي واردة في " البحر المحيط " أيضًا[69]. و قال الفرّاء[70]: « و بعض من أهل المدينة يسكّن الخاء و الطّاء فيجمع بين ساكنين فيقول: " يَخْطِّف "[71] ».

و مع كثرة استعراضه لهذه القراءات المختلفة لم يَملْ ابن عطيّة إلى التّركيز على اللّهجات العربية المختلفة، و بذلك لم ينسب كلّ قراءة إلى قبيلتها، بل وجدناه غرق في التّعليلات التّي هي ذات صلة وطيدة بالإدغام كموضوع صوتي. و قد انتهج قبله ابن جنيّ المنهج نفسه في كتابه " المحتسب "[72]، و انساق وراء الصّيغ الصّرفية مركزًا على صيغة " يفتعِل " أي يختطف ممثّلاً بـ: فِتّحوا الأبواب، أي: افتتحوا، و كذلك: يَهَدّى و يِهِدَّي و يَهِدّي [73]، و جاء المعذّرون و المُعذِّرون و المُعذّرون[74] و مُرَدِّفين و مُرُدَّفين ، تتبع الضمّ الضمّ، كما اتّبعت الكسر الكسر.

و قد وجدت الفرّاء نسب قراءة " يخطِف " بكسر الطّاء إلى عليّ بن الحسين و يحيى بن وثاب[75]. و قال الأخفش: « هي لغة و منهم من قرأ " يخطَف" على " خطِف يخَطف " و هي الجيّدة[76]». و قد ورد في " البحر المحيط " عن ابن عطيّة قوله: « و الكسر في طاء الماضي لغة قريش و هي أفصح[77]».

و ممّا سبق عرضه يتّضح أنّ كثرة الصّيغ الصّرفية للفعل " يخطف " كانت بحجم تلك الخلافات الحادّة بين بعض اللّغويين، منهم النّحاس الذي لم يستجز ما ذهب إليه الفرّاء لأنّه جمع بين ساكنين[78].

أمّا الزّجاج فرأى في - يخطف - لغتين: يقال خَطِفَ يخَطِفُ، و خطف، و اعتبر اللغة العالية التي عليها القراءة - خطِفَ يخَطفُ - و هذه القراءة تروى عن العرب و القرّاء و فيها لغات، منها لغة لم يذكرها ابن عطيّة و هي - يخْطِف - بإسكان الخاء و الطّاء، و إنّها ليست تسوغ لصعوبتها و قد روى سيبويه[79] مثل هذا و ردّه عليه أصحابه و زعموا أنّه غير سائغ في اللّفظ و أنّ الشّعر لا يجمع في حشوه بين ساكنين[80].

و خلاصة ما توصّلت إليه من خلال ما عرض من قراءات حول " يخطف " بأشكالها المتعدّدة: هي أنّ هذا الفعل له ثمانية أوجه وهي[81]:

1- " يَخْطَف " بفتح الياء و الطّاء و سكون الخاء ماضيه " خطف "، و هي أفصح لغات العرب و هي القريشية[82].

2 - " يَخْطِف " بفتح الياء و سكون الخاء و كسر الطّاء " يَخِطِّف " بفتح الياء وكسر الخاء و الطّاء وتشديد الطّاء.

3- " يخَطِّف ". 4 - " يَخَطَّف ". 5 - " يخِطَّف " 6 - " يتخطَّف " بوزن " يتفعل". 7 - " يُخَطِّف ". 8 - " يُخَطِّف "[83].

و أضاف أبو حيّان الأندلسيّ إلى ما ذكر من قراءات قراءة عليّ و ابن مسعود " يختطف " و قراءة الأعمش و الحسن " يِخطّف[84]".

و أمّا القرطبيّ فقد ذكر أنّ للفعل سبعة أوجه، ستة منها موافقة للخطّ، و السّابعة حكاها عبد الوارث " يتخطف[85] ".

و عليه فإنّ هذا الحرف " يخطف "، و هو من قبيل الضّبط الحركي، قرئ عند أبي حيّان عشر قراءات: السّبعة يخطف، و الشّواذّ: يخطف يختطف يتخطف يخطف، و أصله يتخطف، فحذف التاء مع الياء شذوذاً، كما حذفها مع التاء قياساً. يخطف يخطف يخطف يخطف، و الأربع الأخر أصلها يختطف فعرض إدغام التاء في الطاء فسكنت التاء للإدغام فلزم تحريك ما قبلها، فإما بحركة التاء، و هي الفتح مبينة أو مختلسة، أو بحركة التقاء السّاكنين، و هي الكسر. و كسر الياء اتّباع لكسرة الخاء، و هذه مسألة إدغام اختصم به، و هي مسألة تصريفيّة يختلف فيها اسم الفاعل و اسم المفعول و المصدر، و تبيين ذلك في علم التّصريف[86].

و عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَآ...**﴾ [البقرة 61].

يقول ابن عطيّة: « و قرأ طلحة بن مصرف و يحيى بن وثاب – قُثائها- بضمّ القاف و قال الضحّاك: " الفوم الثوم " و هي قراءة عبد الله بن مسعود بالثاء، و روي ذلك عن ابن عبّاس، رضي الله عنه [87]». و في توجيهه لهذه القراءة التي بالثاء يرى ابن عطية أنّ الثاء تبدل من الفاء، كما قالوا: مغاثير و مغافير ، وجدث و جدف، و وقعوا في عاشور شر، و عافوا شر، على أنّ البدل لا يقاس عليه .

و لم ينسب ابن عطيّة ذلك إلى أيّة قبيلة و هذا باستثناء ذكره و نسبته لتسمية السّنبل فوما إلى " أزد "[88].

قال الفرّاء: « العرب تبدل الفاء بالثاء، فيقولون: " جدث " و " جدف " و " الأثاثي "، و " الأثافي "، و سمعت كثيرًا من بني أسد يسمّي " المغافير المغاثير[89]».

و ذهب الزجّاج إلى القول بأنّ في القثّاء لغتين: القُثّاء و القِثّاءُ ولكنّه لم ينسب القراءتين، كما أنّه أنكر على النّحويين قولهم بأنّ الفوم هنا هو الثّوم[90].

و يوافق ابن جنيّ الزجّاج في ذلك إذ يقول: « و ذهب بعض أهل التفسير في قوله عزّ اسمه: [وَ فُومِهَا] إلى أنّه أراد الثوم، فالفاء على هذا بدل عنده من التاء والصّواب عندنا: أن الفُوم الحنطة و ما يختبز من الحبوب، و ليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء"[91]».

و لا بأس أن نستعرض هنا ما جمعه أبو حيّان من أقاويل للمفسّرين حول لفظة " وَ فُومِهَا "، ففيها ستّة: أحدها: أنه الثوم، و بيّنته قراءة ابن مسعود: " و ثومها " بالثاء، و هو المناسب للبقل و العدس و البصل. الثاني: قاله ابن عباس، و الحسن، و قتادة، و السدّي: أنّه الحنطة. الثالث: أنّه الحبوب كلّها. الرّابع: أنّه الخبز، قاله مجاهد، و ابن عطاء، و ابن زيد. الخامس: أنّه الحمص. السّادس: أنّه السّنبلة[92].

و يقع الإبدال بين الصّوت الشّفوي الأسناني و الصّوت الأسناني، أي بين " الثّاء " و " الفاء

"، و يلاحظ أنّ بين الحرفين علاقة تسمح بانتقال أحد الصّوتين إلى الآخر، فالفاء رخو مهموس، و الثّاء كذلك، و هما متقاربان مخرجًا و صفة. و من بين الأمثلة المتداولة كثيرًا عند علماء اللّغة، في باب التّعاقب هذا، لفظا " جدث " و هي لغة أهل الحجاز، و " جدف " و هي لتميم، و يرى ابن جنّيّ أنّ الثّاء هي الأصل، لأنّها أذهب في التّصريف من الفاء[93]. و هذا ينطبق بدوره على: " ثوم و فوم " فالأصل أيضًا فيهما هو الثّاء، و هو ما ذهب إليه أحمد علم الدّين الجندي حيث جعل لترجيح هذا الرّأي أسبابًا منها: أنّ " الثّوم " بالعبرية " شوم "Sum ، و بالآرامية Tuma، بالشّين و التّاء النّاشئتين عن الثّاء[94]. و كذلك هي في مصحف ابن مسعود بالثّاء " ثوم "[95]. و القراءة بالثّاء توافق العدس و البصل. إلاّ أنّ هذا الباحث ذهب أيضًا إلى تغليط ابن جنّي[96] الذي اعتبر قراءة " الثّوم " بالفاء - كما سلف - هي الأصل و لا إبدال في ذلك، و أنّ "الفوم " هو الحنطة[97].

و إذا انتقلنا إلى المهتمّين بدراسة القراءات القرآنية من المحدثين ألفينا الدّكتور عبد الصّبور شاهين في كتابه " القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث " يقسّم بعض القراءات في جداول إلى صنفين: صنف يتعلّق باللّهجات العربية و آخر ينتمي إلى لغات أعجمية، و من أمثلة ما جاء في جداول المجموعة الأولى الكلمات الآتية: (فومها [98] و ثومها، القيوم [99] و القَيَّام، كُرسيه[100] و ِكرسيه، فصُرْهن[101] فِصرَّهـن، فصُرَّهن، فصَرَّهن، فصُرُّهن، إصرى[102]، أُصرى، أَصرى، ِربيّون[103] رُبيون رَبيون، حَوبا - حَوْبا – حابًا[104]...) و إذا كان قد ذكر من قرأ بهذه القراءات كلّها، فإنّه لم ينسب ذلك إلى جهات ما أو إلى قبائل معينة[105]. و هذه القراءات ذكرها ابن عطيّة كلّها في تفسيره " المحرّر الوجيز ".

و لا يفوتنا هنا أن ننوّه برأي عبده الرّاجحي في مثل هذه الأشكال بين القبائل ا المتحضّرة و قبائل البادية، و مؤدّاه أنّ في الاختيار بين الفتح و الكسر تذهب قبائل الحجاز المتحضّرة إلى الأخفّ و هو الفتح، و بين الفتح و الضمّ تذهب إلى الفتح، و بين الكسر و الضمّ تذهب إلى الكسر، على حين تميل لهجات القبائل البادية - و بخاصّة في وسط شبه الجزيرة و شرقيها - إلى الصّائت الأثقل: الكسر أو الضمّ[106].

يقول أبو حيّان صاحب " البحر المحيط " عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ** ﴾ [البقرة: 2/ 273]، قرأ ابن عامر، و عاصم، و حمزة، بفتح السّين حيث وقع، و هو القياس، لأنّ ماضيَه على فَعِلَ بكسر العين. و قرأ باقي السّبعة بكسرها، و هو مسموع في ألفاظ، منها: عمد يعمد و يعمد، و قد ذكرها النّحويون، و الفتح في السّين لغة تميم، و الكسر لغة الحجاز[107].

و بكسر السّين في الماضي و المضارع هي، عند بعضهم، لغة قريش[108]. بينما عزاها غيرهم إلى الحجاز[109]. و ذهب آخرون إلى عزوها إلى عُليا مضر[110]. و لا تضاربَ في هذا العزو في نظر صاحب اللّهجات العربية في التّراث، فقد كانت قريش، و الحجاز، و عُليا مضر كلّها عند جغرافي المسلمين بمعنى واحد، يقصد منها جميعًا البيئة الحجازية و بعض قيس[111].

جاء في كتاب " أدب الكاتب " لابن قتيبة: في " باب فَعِل يَفْعَل و يَفْعِل " أنَّ « " حَسِب يحْسَب و يَحْسِب "، و " يَئِس يَيْأَس و يَيْئِس "، و " نَعِم يَنْعَم و يَنْعِم "، و " بَئِسَ يَبْأَس و يَبْئِس " عُليا

مُضر تكسر، و سُفلاها تفتح، و قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " يَحْسِب و يَحْسِبون " - بالكسر -.

و هذه الحروف الأربعة في الأفعال السّالمة شواذّ، و ما سواها من " فَعِلَ " فإنّ المستقبل منه " يَفْعَلُ "، نحو: " عَلِمَ يَعْلَمُ "، و " عَجِلَ يَعْجَلُ "[112]».

و جاءت لهجة تميم على القياس، لأنّ صيغة الماضي مغايرة لصيغة المضارع، بعكس لهجة الحجاز التّي جاءت على غير ذلك، فتميم على هذا التّركيب تقول: حسِب يحسَب، و غيرها يقول: حسَب يحسِب على مثال: ضرَب يضْرِب، و الحجاز أخذت الماضي من لغة، و المضارع من لغة أخرى، فانكسر الماضي و المضارع فيها[113].

و عليه فإنّ هذه القراءات، و لو أنّها ظواهر لغوية أو لهجية تتعلّق بالقبائل المختلفة، إلاّ أنّها ذات صلة بعلم الصّرف لوجود التّغيير في البنية الصّرفية للفعل من " تَفعلون " بفتح الياء إلى " تِفعلون " بكسر التّاء.

و يحسن بنا هنا أيضًا أن نذكر ما نقله صاحب لسان العرب عن " الصّحاح " من صيغ الأفعال الصّحيحة التّي يجيء ماضيها مكسورًا، و مستقبلها مكسورًا أيضًا، و هي: " حسِب يحسِب "، و " يَبِس يَيْبِس "، و " يَئِس يَيْئِس "، و " نَعِم يَنْعِم "[114].

و أنتقل بعد هذا الموضوع الذي يشير إلى لهجات عربية إلى موضوع آخر يتعلّق بالكلمات التي تشير إلى لغات أعجمية، و سأقتصر على أمثلة ثلاثة فقط و ذلك ليتسنّى إعطاء صورة عن طريقة ابن عطيّة و أبي حيّان في تناول القراءات المختلفة في هذا الباب.

يقول ابن عطية عند تفسير قول الله تبارك و تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ...**﴾ [البقرة:97]: « و في جبريل لغات: "جِبْرِيل " بكسر الجيم و الرّاء من غير همز، و بها قرأ نافع، و" جَبْرِيل " بفتح الجيم و كسر الرّاء من غير همز، و بها قرأ ابن كثير و" جَبرَئل " بفتح الجيم و الرّاء و همزة بين الرّاء و اللامّ و بها قرأ عاصم، و" جَبرَءيل " بفتح الجيم و الرّاء و همزة بعد الرّاء و ياء بين الهمزة و اللاّم، و بها قرأ حمزة و الكسائي و حكاها الكسائي عن عاصم ، " جبرائل " بألف بعد الرّاء ثم همزة و بها قرأ عكرمة، و " جبرائيل " بزيادة ياء بعد الهمزة، و" جبراييل " بياءين وبها قرأ الأعمش، و" جَبرئل " بفتح الجيم و الرّاء و همزة ولام مشدّدة و بها قرأ يحيى بن يعمر، و" جَبرال " لغة فيه، و" جِبرِين " بكسر الجيم و الرّاء وياء ونون[115]».

و في تعليقه على هذه القراءات نسب ابن عطية قولاً للطّبري[116] فحواه أنّ القراءة الأخيرة " جبرين " هي لغة لبني أسد، إلاّ أنّه لم يقرأ بها.

كما نسب إلى ابن عبّاس قوله " أن جبر" و" ميك " و" سراف " هي كلّها بالأعجمية بمعني عبد مملوك، و " إيل " اسم الله تعالى، و يقال فيه " إل "[117].

و في نظر الأخفش في " جبريل " ستّ لغات، أرصُدها على الشّكل الذّي وردت به في كتاب " معاني القرآن "[118]:

- " جبراييل "، و " جبرئيل "، و " جبرئل ".

- " جبراعيل " " جبرعيل " " جبرعل ".
- و " جَبْريل " و " جِبريل ". فَعليل و فِعليل.
- و " جَبرائِل ".
- " جبراعل "[119].

و جاء في " البحر المحيط " ثلاث عشرة لغة لـ " جبريل "، إضافة إلى تغليط آراء علماء كبار أمثال الفرّاء و المهدوي، يقول أبو حيّان في ذلك: « " جبريل ": اسم ملك علم له، و هو الذي نزل بالقرآن على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و هو اسم أعجمي ممنوع الصرف، للعلمية و العجمة، و أبعد من ذهب إلى أنّه مشتق من جبروت الله، و من ذهب إلى أنّه مركب تركيب الإضافة. و معنى جبر: عبد، و إيل: اسم من أسماء الله، لأنّ الأعجمي لا يدخله الاشتقاق العربي، و لأنه لو كان مركباً تركيب الإضافة لكان مصروفاً. و قال المهدوي[120]: و من قال: جبر مثل: عبد، و إيل: اسم من أسماء الله، جعله بمنزلة حضرموت. انتهى كلامه. يعني: أنه يجعله مركباً تركيب المزج، فيمنعه الصرف للعلمية و التركيب. و ليس ما ذكر بصحيح، لأنه إمّا أن يلحظ فيه معنى الإضافة، فيلزم الصرف في الثاني، و إجراء الأوّل بوجوه الإعراب، أو لا يلحظ، فيركبه تركيب المزج. فما يركب تركيب المزج يجوز فيه البناء و الإضافة و منع الصّرف، فكونه لم يسمع فيه الإضافة، و لا البناء دليل على أنه ليس من تركيب المزج. و قد تصرّفت فيه العرب على عادتها في تغيير الأسماء الأعجمية، حتّى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغة. قالوا: جبريل: كقنديل، و هي لغة أهل الحجاز، و هي قراءة ابن عامر و أبي عمرو و نافع و حفص.

وقال حسان بن ثابت - رضي الله عنه –[121]:

و جِبْريـلٌ رسـولُ اللهِ فينـَـــا ❁ و رُوحُ القُـدُسِ ليسَ له كِفـــاءُ

و كذلك إلا أنّ الجيم مفتوحة، و بها قراءة الحسن و ابن كثير و ابن محيصن. قال الفرّاء[122]: لا أحبّها، لأنه ليس في الكلام فعليل، و ما قاله ليس بشيء، لأنّ ما أدخلته العرب في كلامها على قسمين: منه ما تلحقه بأبنية كلامها، كلجام، و منه ما لا تلحقه بها، كابريسم. فجبريل، بفتح الجيم، من هذا القبيل.

و قيل: جبريل مثل شمويل، و هو طائر. و جبرئيل كعنتريس، و هي لغة: تميم، و قيس، و كثير من أهل نجد، حكاها الفرّاء[123]، و اختارها الزجّاج و قال: هي أجود اللّغات[124]. و قال حسّان بن ثابت - رضي الله عنه –[125]:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة ❁ مدى الدهر إلا جبرئيل أمامها

وقال جرير [في قصيدة يهجو فيها الأخطل و قومه بني تغلب][126]:

عَبدُوا الصَّليبَ و كذّبُوا بمحمّدٍ ❁ و بجبرئيــلَ و كذّبُـوا مِيكالَا

و هي قراءة الأعمش و حمزة و الكسائي و حماد بن أبي زياد عن أبي بكر عن عاصم. و رواها الكسائي عن عاصم ، إلاّ أنّه بغير ياء بعد الهمزة، و هي رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم. و تروى عن يحيى بن يعمر، و كذلك. إلاّ أنّ اللاّم مشدّدة، و هي قراءة أبان عن عاصم، و يحيى بن يعمر. و جبرائيل و جبراييل، و قرأ بهما ابن عباس و عكرمة. و جبرالُ و جبرائل بالياء و القصر، و بها قرأ طلحة. و جبراييل بألف بعد الراء، بعدها ياءان، أولاهما مكسورة، و قرأ بها الأعمش و ابن يعمر أيضاً. و جبرين و جبرين، [دون ضبط] و هذه لغة أسد، و جبرائين. قال أبو جعفر النّحاس: جمع جبريل جمع التّكسير على جباريل على اللّغة العالية.

و ميكائيل: الكلام فيه كالكلام في جبريل، أعني من منع الصرف. و بعد قول من ذهب إلى أنه مشتق من ملكوت الله، أو ذهب إلى أن معنى ميكا: عبد، و ايل: اسم من أسماء الله تعالى، و قد تصرفت فيه العرب. قالوا: ميكال، كمفعال، و بها قرأ أبو عمرو، و حفص، و هي لغة الحجاز. وقال الشّاعر[127]:

و يوم بدر لقيناكم لنا مدد ❀ فيه مع النصر ميكال وجبريل

و كذلك إلاّ أنّ بعد الألف همزة، و بها قرأ نافع و ابن شنبوذ لقنبل، و كذلك. إلاّ أنّه بياء بعد الهمزة، و بها قرأ حمزة و الكسائي و ابن عامر و أبو بكر، و غير ابن شنبوذ لقنبل و البزّي. و ميكييل كميكعيل، و بها قرأ ابن محيصن، و كذلك. إلا أنّه لا ياء بعد الهمزة. و قرئ بها: و ميكاييل بياءين بعد الألف، أولاهما مكسورة، و بها قرأ الأعمش[128]».

و الواقع أنّ ابن عطّية و أبا حيّان لا يذكران اسم اللّغة الأعجمية التي هي أصل أسماء الأعلام و بعض الكلمات المذكورة سابقًا، و هي، في الحقّ، اللّغة العبرية، مع أنّهما أشارا إليها عندما فسّرا قول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ** ﴾ [البقرة: 97][129].

و لم يذكر ابن عطّية أيضًا اللّغة الأعجميّة التّي هي أصل للاسم " إبراهيم " عندما فسّر قوله تبارك و تعالى: ﴿ **وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ** ﴾ [البقرة:124]، فقد قال: « و إبراهيم يقال أنّ تفسيره بالعربية أب رحيم. و قرأ ابن عامر في جميع سورة البقرة " أبراهم "[130]».

و هذا على خلاف ما ذهب إليه أبو حيّان الأندلسيّ حيث إنّ " إبراهيم " لديه: اسم علم أعجمي. قيل: و معناه بالسريانية قبل النقل إلى العلمية: أب رحيم ، و فيه لغى ستّ: " إبراهيم " بألف و ياء، و هي الشهيرة المتداولة، و بألف مكان الياء، و بإسقاط الياء مع كسر الهاء، أو فتحها، أو ضمّها، و بحذف الألف و الياء و فتح الهاء[131].

إبراهيم: اسم علم أعجمي. قيل: و معناه بالسّريانية قبل النّقل إلى العلميّة: أب رحيم، و فيه لغًى ستّ: إبراهيم بألف و ياء و هي الشهيرة المتداولة، و بألف مكان الياء، و بإسقاط الياء مع كسر الهاء، أو فتحها، أو ضمها، و بحذف الألف و الياء و فتح الهاء[132].

و من أمثلة الكلمات الأعجمية الواردة في تفسيريّ ابن عطيّة و أبي حيّان كلمة " تابوت "، و هي في قول الله تبارك و تعالى: ﴿ **وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ** ﴾ [البقرة: 248]، يقول ابن عطيّة: « و قرأ زيد بن ثابت: " التّابوه " و هي لغته، و النّاس على قراءته بالتاء[133]». و هو كما رأينا لم يعلّق على هذه القراءة، و لم يناقشها.

و يوضّح ابن جنيّ ما لخّصه مفسّرنا فيما ذكره حيث نسب قراءة " التّابوه " بالهاء إلى الأنصار و زيد بن ثابت رضي الله عنه أنصاري. و يرى ابن جنيّ أيضا أنّ الهاء بدل من التاء، و أنّهم أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث في الوقف، فقالوا حمزة و طلحة و قائمه و جالسه، و يؤكّد هذا أنّ عامّة عقيل فيما يتلقى من أفواهها أنّها تقول في " الفرات ": الفراه بالهاء في الوصل و الوقف[134].

و في " البحر المحيط ": « " التّابوت ": معروف و هو الصندوق، و في " التّابوت " قولان: أحدهما: أنّ وزنه " فاعول " و لا يعرف له اشتقاق، و لغة فيه " التابوه، بالهاء آخراً، و يجوز أن تكون الهاء بدلاً من التاء كما أبدلوها منها في الوقف، في مثل: طلحة فقالوا: طلحـــه، و لا يجوز أن يكون: " فعلوتـــا " كـ " ملكوت "، من: تاب يتوب، لفقدان معنى الاشتقاق فيه. و القول الآخر: أنه فعلوت من التوب، و هو الرّجوع لأنّه ظرف، وضع فيه الأشياء و تودعه فلا يزال يرجع إليه ما يخرج منه، و صاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته قاله الزّمخشري[135]».

و في الكشّاف: « فإن قلت: ما وزن " التَّابوت "؟ قلت: لا يخلو من أن يكون " فعلوتا " أو " فعلولا "، فلا يكون " فاعولاً " لقلّته، نحو: سلس، و قلق، و لأنّه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف إليه. فهو إذًا " فعلوت " من التّوت، و هو الرّجوع، لأنّه ظرف توضع فيه الأشياء و تودعه. و أمّا من قرأ بالهاء فهو " فاعول " عنده إلاّ فيمن جعل هاءه بدلاً من التّاء لاجتماعهما في الهمس، و أنّهما من حروف الزّيادة، و لذلك أبدلت من تاء التّأنيث[136]».

و كتبت " التابوت " في مصحف زيد بن ثابت " التابوة "[137]، و يفسّر هذا ما روي عن زيد حين أراد أن يكتب " التّابوت " بالهاء، قال النّفر الثّلاثة الذين كانوا معه: إنّما هو بالتّاء، فترافعوا إلى عثمان، رضي الله عنه، فقال اكتبوه بلغة قريش، فإنّ القرآن نزل بلغتهم[138].

يشير صاحب اللّهجات العربية في التّراث: إلى أنّ أبا حيّان الأندلسيّ ذكر في تفسيره " البحر المحيط " لهجات عربية تفوق الخمسين لهجة أذكر منها على سبيل المثال لا غير: بلحارث بن كعب، و بكر بن وائل، و قيس، و أسد، و هذيل، و الحجاز، و تميم، و ربيعة، و قريش... و غيرها[139].

لعلّ الملاحِظ لما سقت من آراء حول كلمة (تابوت) بالتاء و بالهاء، لا يجد من يقول بأعجمية الكلمة، و حتى ابن جنيّ، كما سبق، حاول أن يثبت أصالة الكلمة (تابوه) في اللسان العربي[140]، إلاّ أنَّ للدّكتور عبد الصّبور شاهين نصًّا في هذا ملخّصه[141]: أن كلمة " تابوت " تمثل النّطق الأعجمي في بعض الوجوه الشاذّة و أنّ الحافظ ابن أبي داود السّجستاني روى من طريق الزّهري أن النّفر القرشيين الذي وكّل إليهم عثمان رضي الله عنه كتابة المصحف اختلفوا مع زيد بن ثابت في كتابة " التابوت " فقال النفر القرشيون: "التابوت" و قال زيد: "

التابوه "، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه " التابوت " فإنّه بلسان قريش[142]. و رأت بعض المصادر أنّ " التابوه" لغة للأنصار[143].

و يضيف الدكتور شاهين أنّه إذا ما تابعنا البحث وراءها وجدنا أنّ النّطق العبريّ بالهاء فعلاً، و أنّ النّطق الأرامي هو " تيبوتا[144] ".

و أمّا الوجه الأخير (التيبوت)، فقد رواه القرطبي[145]. و يتساءل الدّكتور: « فمن أين تسنّى لزيد بن ثابت أن يقرأ بهذين الوجهين؟ و الجواب عن الوجه الأوّل: هو " أنّه و إن كان لغة للأنصار، فهو لغة مأخوذة و لا شكّ من مخالطتهم لليهود بالمدينة. و أمّا الوجه الثاني فجوابه من حياة زيد بن ثابت نفسه، فقد كان مهتمّا بتعلم السّريانية و العبرانية، بتأثير من النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) و قد ذكر الخبر المرويّ في ذلك أنّه تعلّم كلتيهما في مدّة وجيزة (سبع عشرة ليلة)[146].

و يلخّص الدّكتور شاهين ما مرّ في أنّ ذلك كان من نطق زيد للكلمة القرآنية متأثرًا بمعرفته لبعض اللّغات السّامية[147].

و خلاصة ما مرّ: أن الألفاظ المقول بأعجميتها تكشف لنا إلى أي حدّ أثَرُ الاتصال باللّغات الأخرى في نطق بعضهم لألفاظ القرآن و لو كان ذلك في بضع كلمات، و ذلك خلافًا للألفاظ التي تشير إلى لهجات عربية و هي كثيرة مردّها إلى فروق لهجيّة ممّا اشتهرت به ألسنة بعض القبائل.

نتائج البحث:

لعلّ ما ذهب إليه إبراهيم السّامرّائي في مقولته الآتية ينطبق على هذا البحث تمامًا، حيث أكثر المفسّران ابن عطيّة و أبو حيّان من ذكر لغة الحجاز و لغة تميم، يقول الدّكتور: « اهتمّ المستشرقون بهذه المخالفة اللّغوية، و لكنّهم ذهبوا إلى أوضح قسمة، فيها تلك التّي شاعت في كتب النّحو و اللّغة، و هي لغة الحجاز و لغة تميم، و من هؤلاء فولرز (Vollers) و رابن (Rabbin). و كأنّ المستشرقين قد رأوا في لغات القبائل الأخرى موادّ يتيمة، فأنت لا تجد من لغة بلحارث بن كعب غير التزام المثنّى للألف، و موادّ معجمية[148]».

مع أنّ أبا حيّان ذكر في تفسيره لهجات كثيرة - على ما درج عليه المعاصرون - منها: لهجة الحجاز، و أهل مكّة و قريش، و هي الفصحى التّي نزل بها القرآن الكريم. ثمّ اللّهجات الستّ التي أخذت عنها العربية أكثر من غيرها، لهجة تميم، و قيس، و أسد، و هذيل، و كنانة، و طيّئ، ثم لهجة نجد، و مضر، و بكر بن وائل، و ربيعة، و أهل العالية، و السّريانية، و العبرانية، و النبطيّة... و هناك لهجات أخرى غير معزوّة ذكرها في أجزاء من البحر المحيط[149].

و هذا ما أشار إليه صاحب كتاب " اللّهجات العربية في التّراث " حيث أكّد أنّ في تفسير أبي حيّان لهجات عربية تفوق الخمسين لهجة[150].

و بما ورد في " البحر المحيط " من لهجات صار أبو حيّان الأندلسيّ مصدرًا للدّارسين في ميدانها، فأكثروا من النّقل عنه، مع أنّ " المحرّر الوجيز " من مصادر أبي حيّان، فهو غالبًا ما ينقل عن ابن عطيّة، و قد شاع عنه اهتمامه باللّغات أكثر من ابن عطيّة.

و مردّ ذلك إلى أنّ الظّواهر اللّغوية أو اللّهجية التّي كشف عنها المفسّران المذكوران في تفسيريهما مع تبيين أصول تلك الظّواهر عربية كانت أم أعجميّة، فيها شيء من التّفاوت بينهما، ففضل أبي حيّان على ابن عطيّة كان أكبر و أوضح، نظرًا لاعتماد الثّاني التّعميم من غير أن يعلّق أو يشير إلى قبائل الإنتماء، بحكم مهنته فهو قاضي قضاة الأندلس في زمانه، كثيرًا ما ينساق وراء الأحكام الفقهية و الفتاوى، فيشغله ذلك عن الخوض في التّعليل اللّغوي و التّحليل المستفيض، إلاّ في مواضع ما. بينما كان صاحب " البحر المحيط "، و بحكم تخصّصه في شتّى فروع اللّغة العربية من نحو، و صرف، و معجم، و لهجات، يدقّق بل و يكشف كلّ ذلك بتوخّي المنهجيّة العلميّة عبر تحليله للقبائل التّي تنتمي إليها تلك اللّهجات، فيعزو كلّ لغة أو لهجة إلى قبيلتها التّي انتشرت فيها، و لو كانت قد انتقلت بعد زمن إلى قبيلة أخرى عبر الأسواق الموسمية، أو عن طريق التجارة، أو حتّى المصاهرات، فانصهرت تلك في ألفاظ لغة القبيلة الأخرى، و استقرّت فيها من غير شعور أهلها بها. و ليس في ذلك انتقاص من قيمة مفسّرنا الكبير ابن عطيّة، و لا نقصد بذلك انصرافه عن مجالات علوم اللّغة العربية إلى الفقه و الشّريعة، كَلاَّ فهو، مع كونه فقيهًا عالمًا بأحكام الأصول، فقيهٌ في اللّغة بارعٌ، و نحويٌّ حاذقٌ أيضًا.

و إضافة إلى ما مرّ نلاحظ أنّ قبائل العرب كثيرة، و لهجاتها متعدّدة و متنوّعة، و هي ليست، في الحقّ، إلاّ طرقًا للتعبير و الأداء، فلا تزيد في المعنى شيئًا، و لا تنقص منه شيئًا.

و عليه فإنّ القراءات ذات النّمط اللّهجي التي عرضنا في هذا البحث لا تتعارض في معانيها و مدلولاتها فيما بينها، فاللّهجات طرق و أشكال للتّعبير و الإبانة. و من ذلك مثلاً أنّ الإسكان لغة تميم، و الضمّ على الإتباع لغة أهل الحجاز، كما أنّ تسكين الصّامت الثاني المتحرّك ينسب إلى تميم، على حين ينسب تحريكه إلى أهل الحجاز، و لكن قد توجد أمثلة قليلة، يحدث فيها العكس، و ذلك بسبب عامل التأثير و التأثر بين القبائل، و كذلك مرونة اللّغة على ألسنة النّاطقين بها[151].

و في الحقّ أنّ اختلاف القراءات هو اختلاف تنوّع و تغاير لا اختلاف تعارض و تضارب، كما يظنّ المبطلون، و أنّ الأمرَ في القراءات ضوابطُه دقيقةٌ في الأثر و الرّواية.

و ينبغي أن يوضع في الحسبان أيضًا أنّ القراءة ذات الطبيعة اللّغوية أي اللّهجية ينبغي أن تكون وطيدة الصّلة بالدّراسات اللّسانية التّي تتعلّق بالمستويين الصّوتي و الصّرفي.

مصادر البحث و مراجعه:

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عبد الغنيّ الدمياطي، وضع حواشيه أنس مهرة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

- أثر القراءات في الأصوات و النّحو العربي- أبو عمرو بن العلاء –: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1407 هـ - 1987م.

- أدب الكاتب: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، و م. السّعادة بمصر، ط 4، 1382 هـ - 1963م.

- إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاري، تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، 1323 هـ.

- إعراب القراءات الشواذّ: أبو البقاء العكبري، تحقيق محمّد السيد أحمد عزّوز، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ - 1996م.

- إعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط3، 1409 هـ - 1988م.

- البحر المحيط: محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تصحيح وعناية الشيخ صدقي محمّد جميل و زهير جعيد، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1412هـ- 1992م، و طبعة مطابع النصر الحديثة، الرياض، دط، دت. و تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و آخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413 – 1993.

- التّطوّر النّحوي للّغة العربية لبرجشتراسر، أخرجه و صحّحه و علّق عليه رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 2003.

- تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث و الدراسات العربية و الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة و النشر، القاهرة، ط 1، 1422 هـ – 2001 م.

- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري، ضبط و تصحيح محمّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1415 هـ - 1995م، و طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1948.

- الجامع لأحكام القرآن و المبيّن لما تضمّنه من السنّة و آي الفرقان، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التّركي، مؤسّسة الرّسالة، ط 1، 1427 هـ، 2006م.

- الحجّة للقرّاء السّبعة أئمّة الأمصار بالحجاز و العراق و الشّام الذين ذكرهم ابن مجاهد: أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفّار الفارسيّ، تعليق كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421 هـ - 2001م.

- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد عليّ النّجار، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983 م.

- ديوان جرير، دار بيروت للطّباعة و النّشر، بيروت، لبنان، د ط، 1406 هـ - 1986م.

- ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد أ. مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1414 هـ - 1994م.

- السّبعة في القراءات: أبو بكر بن مجاهد – تحقيق الدكتور شوقي ضيف، ط 2، دار

المعارف، القاهرة، مصر، د ت.
- سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ - 2000 م.
- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمّد شاكر و آخرين، طبعة دار إحياء التراث العربي، دط، د ت.
- شرح شافية ابن الحاجب، الرضيّ، رضي الدين محمّد، تحقيق محمّد نور الحسن، ومحمّد الزفزاف، و محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الصّحاح " تاج اللّغة و صحاح العربية "، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، القاهرة 1373 هـ - 1956م، ط2، بيروت، 1399 هـ - 1979م.
- الطبقات الكبرى: محمّد بن سعد بن منيع بن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة 1410 هـ - 1990م.
- فضائل القرآن: أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أبي اسحق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط 1، 1416 هـ.
- في اللّسانيات العربية المعاصرة، خالد إسماعيل حسّان، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2008.
- في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1973.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي، و دار القلم، القاهرة، 1966.
- القراءات و اللّهجات: عبد الوهّاب حمّودة، مكتبة النهضة المصرية، 1948.
- الكامل في القراءات العشر و الأربعين الزّائدة عليها: أبو القاسم يوسف بن عليّ بن محمّد المغربي الهذلي، تحقيق جمال بن السيّد الشايب، مؤسسة سما للنشر و التوزيع، دم، ط 1، 2007 م.
- الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3، 1408 هـ - 1988م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها: أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1418 هـ - 1997م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور، دار الفكر و دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ- 1994م.
- اللّغات في القرآن: تحقيق صلاح الدّين المنجد، مطبعة الرّسالة، القاهرة، مصر، ط 1، 1365 هـ - 1946م.
- اللّغة العربية كائن حيّ: جرجي زيدان، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط 2، 1988م.
- اللّهجات العربية " دراسة وصفية تحليلية في الممنوع من الصّرف، مجدي إبراهيم محمّد إبراهيم، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 1426 هـ - 2005م.

- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعية للنشر و الطبع والتوزيع، دط، د ت.

- اللّهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين، ترجمة عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر، ط 1، 2002 م.

- اللّهجات العربية و القراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط: محمّد خان، دار الفجر للنّشر و التّوزيع، القاهرة، ط1، 2002م.

- المتوكّلي فيما في القرآن من اللّغات العَجَمية: جلال الدّين السّيوطي، تحقيق جميل عبد الله عويضة، دن، دم، 1431 هـ - 2010م.

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق عليّ النجدي ناصف و عبد الفتاح إسماعيل شلبى، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، دط، 1424 هـ - 2004.

- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السّلام عبد الشّافي محمّد – دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1، 413 – 1993.

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه – نشره برجشتراسر، عالم الكتب، دط، دت.

- المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى، تحقيق آرثر جفري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1405 هـ - 1985.

- معاني القرآن: الأخفش: سعيد بن مسعدة البلخي، تحقيق عبد الأمير محمّد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1405 هـ - 1985م.

- معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد، ج1، تحقيق أحمد يوسف نجاتي و محمّد عليّ النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، دط، د ت.

- معاني القرآن و إعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السّري الزجّاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1408 هـ - 1988م.

- معجم القراءات القرآنية: أحمد مختار عمر و عبد العال سالم مكرم، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، ط 2، 1408 هـ - 1988.

- معجم القراءات القرآنية: عبد اللّطيف الخطيب: دار سعد الدّين للطباعة – دمشق – سوريا- دط، 2002.

- المنصف لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني: شرح أبي الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث، القاهرة، دط، 1960.

الهوامش:

(1) ينظر: الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 3، 1408 هـ - 1988م: 1/ 57 – 59. و الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد عليّ النّجار، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983 م: 1/ 376، و شرح شافية ابن الحاجب: الرضيّ، رضي الدين محمّد، تحقيق محمّد نور الحسن، ومحمّد الزفزاف، و محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت: 1 / 125. و في اللّهجات العربية القديمة: إبراهيم السّامرائي، دار الحداثة للطّباعة و النّشر و التّوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1994: ص 5.

(2) اهتمام المعجميين بعزو اللّهجات إلى أصحابها قليل. فابن منظور مثلاً: لا يذكر إلاّ قليلاً من لهجات القبائل. و يكتفي بقوله: لغة فيه " أو عند بعض العرب.

(3) في اللّهجات العربية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1973: ص 16. و تفهم من كل ما سبق أن اللهجة تعنى اللغة التي نطق بها الإنسان منذ نعومة أظفاره. وهذه اللغة يتشعب منها لهجات مختلفة، كل لهجة تختلف عن الأخرى من حيث الفصحى والعامية، فلغة العلماء و المثقفين هي الفصحى تختلف عن اللغة الصناع والزراع والتجار، لدرجة أن الإنسان ربما يفهم إحداها ولا يفهم الأخرى، ولقد أوضح لنا فندريس ذلك عندما مَثَّلَ بأخوين يعيشان معاً ولكنهما يمارسان مهنتين مختلفتين؛ كل واحد منهما يحتك في موقعه بمجموعات مختلفة، ويأخذ عن أفرادها اللغة بالضرورة، مع عادات التفكير والأعمال وآلات المهنة، وبذلك ينشأ في كل يوم بين الأخويين اختلاف لغوى يؤدي بهما إلى التحقق من اختلاف لغتيهما بعض الشيء إذا لم يرد أحدهما أخاه زمناً طويلاً، ولكن هذا الاختلاف يزول كل مساء عودة بفضل عودة الصلة بينهما من جديد. [اللغة، فندريس: ص 307]. و ينظر: " اللهجات العربية دراسة وصفية تحليلية في الممنوع من الصّرف ": مجدي إبراهيم محمّد إبراهيم، مكتبة النّهضة المصرية، القاهرة، ط 1، 1426- 2005: ص 16.

(4) القراءات و اللّهجات: عبد الوهّاب حمّودة، مكتبة النهضة المصرية، 1948: ص 54.

(5) في صحيح البخاري باب بعنوان " أنزل القرآن على سبعة أحرف "، ينظر إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمّد القسطلاني، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، طبعة 1323 هـ: 7 / 450، [باب كتاب فضائل القرآن]. وقد جعل الترمذي أيضا بابا باسم " أنزل القرآن على سبعة أحرف "، ينظر سنن الترمذي، تحقبق أحمد محمّد شاكر و آخرين، طبعة دار إحياء التراث العربي، د ت: 5 / 193.

(6) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد عليّ النّجار، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983 م: 2 / 10.

(7) المرجع نفسه: 2 / 10.

(8) العنعنة: عنعنة تميم هي إبدالهم العين من الهمزة كقولهم "عنْ" يريدون "أن " لسان العرب مادة : (عنن) : 13 / 295 .

(9) الكشكشة: لغة الربيعة، و في الصحاح لبني أسد يجعلون الشين مكان الكاف و ذلك في المؤنث خاصة و منهم من يزيد الشين بعد الكاف... لسان العرب مادّة (كشش): 6 / 342.

(10) وكسكسة هوزان: هو أن يزيدوا بعد كاف المؤنث سينا فيقولوا: أعطْيتُكِسْ ومنكس،و هذا في الوقف دون الوصل. و الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة. ينظر لسان العرب مادة (كسس): 6 / 96.

(11) التضجع: تضجع في الأمر إذا نقد و لم يقم به لسان العرب (ضجع): 8 / 220.

(12) العجرفية: قال أبن سيدة:" و عجرفية ضية أراها تقعرهم في الكلام " لسان العرب (عجرف):9 / 234.

(13) التلتلة: هي كسر تاء "يفعلون". ينظر لسان العرب (تلل): 11 / 80.

(14) وفيات الأعيان: 4 / 191.

(15) التحرير و التنوير: محمّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، طبعة 1984: 1 / 51.

(16) وفيات الأعيان: 3 / 325، و ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 413 – 1993: مثلاً 1 / 120، تفسير سورة البقرة: 31، وكذلك 1 / 348 تفسير سورة البقرة: 259، وغيرهما.

(17) الصلة: 1 / 155 و2 / 406.

(18) ذكره ابن خير في الفهرسة: 44، نقلا عن شرح الهداية: أحمد بن عمار المهدوي، مقدمة المحقق د.حازم سعيد حيدر، و إشراف محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الرشد، الرياض، طبعة1415هـ. كما ذكره ابن عطية في فهرسته:55، 91، 103 نقلاً عن المرجع السابق، وذكر أيضاّ في معجم المؤلفين:1 / 214، وقد عثر الدكتور فايد على أجزاء مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت أرقام: 77، 78، 79، 325، انظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: 105، كما أن اسم هذا الكتاب لم يرد ذكر هذ الكتاب في الصلة لابن بشكوال:1 / 88.

(19) انظر المحرّر الوجيز، مثلا: 1 / 138 تفسير سورة البقرة: 46، و1 / 118 تفسير سورة البقرة:30، و1 / 123، تفسير سورة البقرة:33، وغيرهما.

(20) وفيات الأعيان: 5 / 274 وانظر الديباج المذهب: 2 / 342 وانظر المحرر الوجيز، مثلاً 123، تفسير سورة البقرة:33، و 1 / 501، تفسير سورة آل عمران:121، وغيرهما.

(21) الحجّة للقرّاء السّبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد: أبوعليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ تحقيق بدر الدّين قهوجي و بشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، ط1، 1984.

(22) الحجّة في علل القراءات السّبع: أبوعليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ تحقيق عليّ النّجدي ناصف و عبد الحليم النّجار و عبد الفتّاح شلبي، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، د ت.

(23) وفيات الأعيان: 2 / 80. وانظر معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الرومي الحموي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411 هـ، 1991 م: 2 / 413.

(24) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان ابن جنيّ، تحقيق

محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

(25) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمد عليّ النّجار، علم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ - 1983 م.

(26) سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ - 2000 م.

(27) اللّمع في العربية: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، طبعة 1405 هـ- 1985 م.

(28) المنصف لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين، إدارة إحياء التراث، القاهرة، طبعة 1960.

(29) الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، ما يحتاج إليه الكاتب من مهموز ومقصور وممدود:أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق مازن البارك، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، طبعة 1988.

(1) تذكرة الحفاظ: 3 / 1120، و الديباج المذهّب: 2 / 84، وغاية النّهاية في طبقات القرّاء: 1 / 503 و 505.

(30) التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني، عني بتصحيحه أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416 هـ -1996م.

(31) جامع البيان في القراءات السّبع المشهورة: .

(32) ينظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: 112، 113.

(33) ينظر مقدّمة البحر المحيط: محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تصحيح صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة 1412هـ- 1992م: 1 / 21، 22. و " أبو حيّان الأندلسيّ و منهجه في تفسيره البحر المحيط و في إيراد القراءات فيه ": أحمد خالد شكري، دار عمّار للنشر و التوزيع، عمّان، الأردن، ط 1، 1428 هـ - 2007 م: ص 166.

(34) انظر الجزء الحادي عشر (11) من " البحر المحيط ": فهرس الأعلام.

(35) ينظر مقدّمة البحر المحيط:: 1 / 19 - 21.

(36) ينظر مقدّمة البحر المحيط: 1 / 16.

(37) يرى الزجاج أن " غشوة " هي رد إلى الأصل لأن المصادر كلها ترد إلى فعلة: معاني القرآن و إعرابه: 1 / 84.

(38) المحرر الوجيز: 1 / 89.

(39) البحر المحيط: 1 / 82.

(40) المحرر الوجيز: 1 / 89 و ينظر البحر المحيط: 1 / 82 و الكشاف:1 / 62 و 93.

(41) البحر المحيط: 1 / 82.

(42) المرجع نفسه: 1 / 89 و ينظر إعراب القرآن: 1 / 186، 187 و أضاف النحاس: « و حكى الفرّاء غَشَاوى مثل أداوى».

(43) الكتاب: 4 / 8.

(44) الحجة للقراء السبعة: 1 / 301.

(45) تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 1 / 61 و ينظر مجمع البيان للطبري: 1 / 93.
(46) إعراب القراءات الشواذ: 1 / 118 و التبيان في إعراب القرآن: 1 / 23.
(47) المحرر الوجيز: 1 / 92 و ينظر الجامع لأحكام القرآن: 1 / 215. و المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق عليّ النجدي ناصف و الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، دط، 1424 هـ - 2004: 1 / 132.
(48) ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1 / 133
(49)المحرّر الوجيز: 1 / 92. و ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1 / 133، و الكتاب: 4 / 114.
(50) في المنصف: 1 / 18: " و الأسماء الثلاثية تكون على عشرة أمثلة فعْلٌ و فعَل و فَعِل...إلخ".
(51) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1 / 133.
(52) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:1 / 133.
(54) البحر المحيط:1 / 95.
(55) المحرر الوجيز: 1/ 102، وينظر إعراب القرآن للنحاس:1 / 194 الكشاف: 92/1 والجامع لأحكام القرآن: 1 / 237. و اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمّد البنا، تحقيق شعبان محمّد إسماعيل، عالم الكتب بيروت، و مكتبة الكليات الأزهرية، ط 1، 1407 - هـ 1987م: 1 / 380.
(56) المحرر الوجيز: 1 / 102.
(57) المرجع نفسه: 1 / 102.
(58) البحر المحيط: 1 / 137، 138. و في اللّهجات العربية في التّراث: أحمد علم الدّين الجندي، الدّار العربية للكتاب، طبعة جديدة، 1983، طرابلس، ليبيا و تونس: 1 / 210: " الصّواعق لغة بني تميم ".
(59) إعراب القرآن: 1 / 194.
(60) البحر المحيط: 1 / 137، 138.
(61) المحرر الوجيز: 1 / 103.
(62) إعراب القرآن:1 / 195.
(63) في " السّبعة في القراءات ": 1 / 148: ليست القراءة المذكورة في سورة البقرة بل هي في سورة [الحجّ: 31] عزاها ابن مجاهد لنافع.
(64) لم أعثر عليها في " السّبعة في القراءات ": 1 / 148.
(65) تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 1 / 92.
(66) البحر المحيط: 1 / 146.
(67) لم أجدها في " جامع البيان في القراءات السّبع المشهورة " للدّاني.

(68) المحرر الوجيز: 1 / 103.
(69) ينظر البحر المحيط: 1 / 146.
(70) معاني القرآن: 1 / 18.
(71) و أمّا ما نقله ابن عطيّة عن الفرّاء من أنّ بعض أهل المدينة قرأ: بفتح الياء و سكون الخاء و شدّ الطّاء مكسورة، فلا وجود له في " معاني القرآن "، المحرر الوجيز: 1 / 103.
(72) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:1 / 60.
(73) يونس: 35.
(74) التوبة: 90.
(75) معاني القرآن للفرّاء: 1 / 18. و هكذا نسبها ابن عطيّة، و زاد: " و نسب المهدوي هذه القراءة إلى الحسن و أبي رجاء، و ذلك وهم ". المحرر الوجيز: 1 / 103.
(76) معاني القرآن للأخفش: 1 / 210، و قد ورد في البحر المحيط: 1 / 146.
(77) البحر المحيط: 1 / 146، و ينظر المحرر الوجيز: 1 / 103.
(78) إعراب القرآن: 1 / 196، و ينظر الجامع لأحكام القرآن الكريم: 1 / 240 ،241.
(79) لم أجدها في كتاب سيبويه.
(80) معاني القرآن و إعرابه: 1 / 95.
(81) المحرر الوجيز:1 /103.
(82) المرجع نفسه: 1 /103، وينظر البحر المحيط: 1 / 146، و الجامع لأحكام القرآن: 1 / 240.
(83) المحرر الوجيز: 2 / 399، لم أجدها بهذا الشكل في معاني القرآن: 1 / 17، 18 ولا في الجامع لأحكام القرآن: 1 / 241.
(84) البحر المحيط: 1 / 146.
(85) الجامع لأحكام القرآن: 1 / 237.
(86) البحر المحيط: 1 / 146، 147. و ينظر كذلك: اللّهجات العربية في التّراث: 1 / 210.
(87) المحرّر الوجيز: 1 / 153 و ينظر الفرّاء: 1 / 41 الجامع لأحكام القرآن الكريم: 1 / 429.
(88) المرجع نفسه: 1 / 153.
(89) معاني القرآن: 1 / 41.
(90) معاني القرآن و إعرابه: 1 / 143.
(91) سرّ صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنيّ، تحقيق محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ - 2000 م: 1 / 262. و ينظر فيه كذلك موضوع إبدال الفاء ثاءً في الجزء الأوّل من هذا الكتاب: 1 / 184، 185.
(92) البحر المحيط: 1 / 376.
(93) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1 / 88.
(94) التّطوّر النّحوي للّغة العربية لبرجشتراسر، أخرجه و صحّحه و علّق عليه رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 2003: ص 23، 24.

(95) البحر المحيط: 1 / 376.

(96) سرّ صناعة الإعراب: 1 / 262.

(97) اللّهجات العربية في التّراث: 2 / 417.

(98) البقرة:61.

(99) البقرة: 255.

(100) البقرة: 255.

(101) البقرة: 260. في كتاب " المتوكّلي فيما في القرآن من اللّغات العَجَمية ": جلال الدّين السّيوطي، تحقيق جميل عبد الله عويضة، دن، دم، 1431 هـ - 2010م: ص 4 و 8: " أخرج ابن المنذر عن وهب بن منبه " فصرهنّ " قطعهنّ بالرّومية. و في ص 12: أخرج ابن جرير عن الضحّاك: " فصرهنّ " يالنّبطيّة شققهنّ.

(102) آل عمران: 81.

(103) آل عمران: 46.

(104) النساء: 2. و شواذّ القراءة و اختلاف المصاحف للكرماني: الورقة 57، نقلاً عن القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 382.

(105) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين، دار الكتاب العربي، و دار القلم، القاهرة، 1966: ص 381، 382.

(106) اللّهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الرّاجحي: ص 135.

(107) البحر المحيط: 2 / 697.

(108) اللّغات في القرآن: تحقيق صلاح الدّين المنجد، مطبعة الرّسالة، ط 1، دت: ص 29.

(109) اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر: 1 / 457.

(110) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدّين بن منظور: مادة (حسب). 1 / 315: و فيه: حسِب يحسِب و يحسَب، و الكسر أجود اللّغتين.

(111) اللّهجات العربية في التّراث: 2 / 567 – 587.

(112) أدب الكاتب: أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، و م. السّعادة بمصر، ط 4، 1382 هـ - 1963م: ص 372.

(113) اللّهجات العربية في التّراث: 2 / 567 – 587.

(114) لسان العرب: مادة (حسب): 1 / 315.

(115) المحرّر الوجيز: 1 / 183.

(116) جامع البيان في تفسير القرآن: 1 346.

(117) المحرر الوجيز 1/ 183 ويرى ابن قتيبة أن " إل " أيضا بمعنى الرّحم التي اشتقت من الرّحمن". تأويل مشكل القرآن: 348

(118) معاني القرآن للأخفش: 1 / 324 - 326. و ينظر: معجم الصّحاح، و اللّسان، و التّاج: مادّة " جبر " و "جبرل ".

(119) لم أتمكّن هنا من ضبط العدد الذي ذكره الأخفش لهذه اللّغات التي قال عنها :إنّها سِتٌّ.

(120) لم يرد ذكر المهدوي، كما جرت عادة ابن عطيّة، في المحرّر الوجيز: 1 / 183.

(121) ديوان حسان بن ثابت، شرح عبد أ. مهنّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1414 هـ - 1994م: ص 20.

(122) لم أجدها في معاني القرآن: 1 / 63.

(123) لم أجدها في معاني القرآن: 1 / 63.

(124) معاني القرآن و إعرابه: 1 / 179.

(125) لم أقف على البيت في ديوان حسّان بن ثابت السّابق.

(126) ديوان جرير، دار بيروت للطّباعة و النّشر، بيروت، لبنان، د ط، 1406 هـ - 1986م: ص 361.

(127) لم أقف عليه.

(128) البحر المحيط: 1 / 509، 510. و في " اللّهجات العربية في التّراث ": 1 / 214: جبريل كقنديل لغة الحجاز... و جبرئيل كعندريس لغة تميم و قيس و كثير من نجد.... جَبرين و جِبرين لغة أسد. ميكال لغة الحجاز.

(129) ينظر المحرر الوجيز: 1/ 133.وفي جامع البيان في تفسير القرآن: إسرائيل: و هو اسم أعجمي يقال فيه اسراءل و إسرائيل و اسرائل, وتميم تقول: اسرائين, وأسرا فهو بالعبرانية عبد و إيل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله وذكر ابن جني أنّ " إل " بالنبطية: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1/ 182. و ورد في الجامع لأحكام القرآن: 1/ 331 « و بنو تميم يقولون اسرائين ».

(130) المحرر الوجيز: 1 / 206.

(131) البحر المحيط: 1 / 596.

(132) البحر المحيط: 1 / 596.

(133) الزينة: 2 / 162.

(134) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: 1 / 221.

(135) البحر المحيط: 2 / 579. و ينظر: تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 1 / 289.

(136) تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل: 1 / 289.

(137) المصاحف: ص 225. و اللغة العربية كائن حيّ: جرجي زيدان، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط 2، 1988م، 15 و ما بعدها.

(138) فضائل القرآن: أبو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أبي اسحق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ط 1، 1416 هـ: ص 71. و ينظر: اللهجات العربية في التّراث: 1 / 110. و ورد في هامش ص 220 من كتاب " اللّهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ": تشيم رابين، ترجمة عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر، ط 1، 2002 م: لقد وهم المؤلف " تشيم رابين " في نقله أنّ هناك خلافًا وقع عند كتابة الكلمة بين زيد بن ثابت بتأييد الأنصار و الأعضاء المكّيين عند كتابة القرآن بعد جمعه. و كأنّهم انقسموا إلى فريقين. و لم تسجّل كتب القراءات و التّفسير خلافًا سوى الاختلاف في القراءة. و ذلك بعد أن حاول إثبات نسبة كلمة تابوت إلى العبرية، و أنها أخذت من الكلمة الآرامية الفلسطينية:

tebhutha ,tebhotha و هي المشتقة بدورها من العبرية.

(139) اللّهجات العربية: 1 / 110، 111 و فيها أيضًا: هذه الكلمة دخلت العربية عن طريق الحبشية، و أصلها من الآرامي اليهودي.

(140) المرجع نفسه: 1/ 221.

(141) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 395.

(142) كتاب المصاحف: 1 / 19.

(143) سبق ذكره في الصفحة السّابقة من هذا البحث.

(144) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 395. و ينظر كتاب " الزينة ": 1 / 146.

(145) الجامع لأحكام القرآن: 3 / 248.

(146) الطبقات الكبرى: محمّد بن سعد بن منيع بن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، طبعة 1410 هـ - 1990م: 2 / 273، 274.

(147) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ص 395.

(148) في اللّهجات العربية القديمة: ص 6.

(149) اللّهجات العربية و القراءات القرآنية – دراسة في البحر المحيط-، محمّد خان، ص 41 – 44. [انظر فهرس الأعلام ففيه تعريف القبائل] و قد وردت أسماء هذه القبائل في البحر المحيط، انظر، الجزء الحادي عشر " فهارس الشعوب و القبائل "، 11/ 193 و ما بعدها.

(150) اللهجات العربية: 1 / 110، 111 و فيها أيضًا: هذه الكلمة دخلت العربية عن طريق الحبشية، و أصلها من الآرامي اليهودي.

(151) في اللّسانيات العربية المعاصرة: ص 131 و ما بعدها.